Atlantic Council
مركز رفيق الحريرى للشرق الأوسط

آراء وتحليـلات

إعداد: **بسام بربندي وفيصل عيتاني**

الاستفادة من الفرص المحلية في سوريا

أغسطس ٢٠١٥

على الرغم من تعدد الأطراف الخارجية اللاعبة، فإن الحرب السورية هي في نهاية المطاف صراع محلي، له أسبابه ودوافعه المتجذرة في بلد يتسم بالتعقيد والتنوع. وفي غياب العنصر المحلي الفعال والقادر، فإن المحاولات الخارجية – من القمة إلى القاعدة – لتحقيق السلام الدائم، وهزيمة الدولة الإسلامية في العراق والشام على الأرجح ستبوء بالفشل، فهناك العديد من الوقائع شديدة الاختلاف والتباين على الأرض. وعلى الرغم من أن هذه الدينامية والتنوع يعقدان الحلول العامة للأزمة السورية، فهي تسمح أيضاً بظهور فرص محلية، إذا ما استغلت على نحو ملائم من قبل الفاعلين الدوليين، يمكن استخدامها كنماذج يعتمد عليها في الوصول لحل نهائي شامل للحرب، وهزيمة الدولة الإسلامية. وفي هذه الحالات، سيكون على الولايات المتحدة وشركائها التواصل مع الأقليات السورية التي تسعى لتحقيق الأمن، وتيسير تعاونها مع الفصائل الذين يسيطر عليهم السنة، وتحقيق التميز على الجماعات المتمردة الساعية لتحقيق شراكات دولية. وسيوسع هذا المنهج من القاعدة الشعبية للفصائل، ويضمن حماية السكان المستضعفين، وإضعاف الدولة الإسلامية، وتمكين الانتقال السياسي.

تلقي هذه الورقة الضوء على ثلاث فرص لزيادة تأثير الولايات المتحدة وإبرام الشراكات التي تصب في مصلحة الولايات المتحدة: دعم التعاون العربي–الكردي في شمال سوريا؛ وتمكين التنسيق بين المقاتلين والدروز في جنوب سوريا؛ والتفاعل مع جماعة جيش الإسلام في الغوطة الشرقية – إحدى ضواحي شرقي دمشق. ولا يُغفل المؤلفان أن النظام لا يزال فاعلاً أساسياً ومحركاً للعنف في سوريا، وأنه من غير المرجح أن ينتهي العنف إلى أن تتم تنحية الرئيس بشار الأسد عن السلطة. إلا أنه من الضروري أن تهدف السياسة الأمريكية إلى تشجيع التغيير السياسي المستدام على المستوى المحلي من خلال أكبر قدر ممكن من الشركاء المقبولين.

مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط

يدرس مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط بالمجلس الأطلنطي التحولات السياسية، والأوضاع الاقتصادية في البلدان العربية، ويقدم توصيات بشأن السياسات الأمريكية والأوروبية لتشجيع التغيير البناء.

وبذلك، يمكن للولايات المتحدة العمل من خلال الشركاء الإقليميين، وبالأخص الأردن، وتركيا، والسعودية، للتفاعل مع اللاعبين المحليين في سوريا.

ترتكز هذه الورقة بشكل كبير على تواصل المؤلفين مع مصادر محلية تلعب أدواراً أساسية في تشكيل التطورات السياسية والعسكرية في ثلاث مناطق من الصراع السوري. ويطرح المؤلفان رؤى وتوصيات عملية، لن يستوجب تطبيقها أن تغير الولايات المتحدة استراتيجيتها أو أهدافها في سوريا على نحو جذري. إن السياسات المطروحة تتسق تماماً مع أهداف هزيمة المتطرفين العنيفين، وتيسير الوصول لعملية انتقال سياسي شاملة تحتفظ بأكبر قد ممكن من قدرات الحكم. كما تعكس التوصيات أهمية الفاعلين المحليين وكيف يمكن للولايات المتحدة التنسيق الأفضل بين مصالح أولئك اللاعبين ومصالحها، من خلال التواصل، والوساطة، وعلى النحو الملائم، توفير الدعم المالي والمادي.

في كل من شمال سوريا وجنوبها، يمكن للولايات المتحدة تشجيع التعاون بين الطوائف والعرقيات بين العرب السنة والأقليات، والذين سيرحب العديد منهم بالدعم الأمريكي، ولكنهم يتحملون النظام لأنهم يخشون سيطرة الأغلبية السنية. وبدون دعم الأقلية،

بسام بربندي مؤسس مشارك لمنظمة الشعب يطالب بالتغيير، وهي مؤسسة غير حكومية، وهو دبلوماسي سوري سابق.

فيصل عيتاني مساعد زميل مقيم بمركز رفيق الحريري للشرق الأوسط بالمجلس الأطلنطي.

أعضاء من الجالية الدرزية يراقبون القتال في الحرب الأهلية الدائرة في سوريا بجوار سور على الحدود بين سوريا ومرتفعات الجولان المحتلة من إسرائيل، ١٦ يونيو ٢٠١٥.
الصورة: رويترز/باز راتنر.

بما في ذلك تأييد العلويين، لا يمكن للنظام مواصلة القتال. ولن تتحقق هزيمة النظام إلا على يد أوسع نطاق ممكن من العرقيات والطوائف، لضمان الوصول إلى تسوية سياسية أكثر شمولاً، ومن ثم، مستدامة. إن أي استراتيجية ناجعة، ستعزز تلك القوات الاجتماعية والعسكرية التي تتمتع بالمشروعية المحلية ومن غير المرجح أن تمثل أي تهديد للأقليات، مع تقديم الضمانات للأقليات ذاتها. وسيزيد ذلك من الضغط العسكري والشعبي على النظام الذي يعتمد بكثافة على دعم الأقليات، ويمثل الفصائل على الدوام بكونهم متطرفين. كما سيعزز ذلك التعاون المحلي بين السنة والأقليات في مواجهة الدولة الإسلامية في العراق والشام.

لأسباب جغرافية، وعسكرية، وسياسية، لا تعد الغوطة الشرقية المكان الأمثل للتعاون بين الطوائف أو السماح بالتعددية مثل شمال سوريا وجنوبها. وفي حين أن جيش الإسلام ليس بالشريك الأمثل للولايات المتحدة، أو الأقليات السورية، أو سكان الغوطة الشرقية، فإنه يتمتع بالقدرة، ويرفض الأيديولوجيا المتطرفة التي تتبعها أسوأ الجماعات الجهادية. ويرى المؤلفان أن بعض من التعاون بين الولايات المتحدة وجيش الإسلام قد يكون ممكناً، ويجب على الأقل دراسته، سعياً لإنهاء الحرب، وحماية الأقليات، وهزيمة الدولة الإسلامية. ويفترض ذلك أن البديل – وهو جيش الإسلام المتمكن والطموح ولكنه محاط بالعزلة – سيفرض مشكلات للمصالح الأمريكية والسورية قد تفوق مخاطر وتنازلات التواصل المحدود والحذر مع جيش الإسلام، ويحرم الولايات المتحدة من حائط صد محتمل ضد الزحف الجهادي على العاصمة.

التنسيق بين المتمردين والدروز في جنوب سوريا

إشكالية الدروز

الدروز هم جماعة صغيرة تابعة للشيعة الإسماعيلية، ترتكز في الشام وتمثل نحو ٣ بالمائة من السكان في سوريا. يتركز الدروز في المحافظات الجنوبية في السويداء، ودرعا، والقنيطرة. إن قرب هذه المناطق من دمشق، وكذلك دور درعا كمهد للثورة السورية، يجعلها هامة بالنسبة للمتمردين وللنظام. إن تخلي قطاع كبير من الدروز عن النظام سيحرم الأسد من أراضٍ هامة، ويزيد تهديد المتمردين للعاصمة. ويرجح أن دول الجوار السوري، بما فيها إسرائيل والأردن، على تواصل بالفعل مع الجالية الدرزية السورية. إلا أن الولايات المتحدة لا يبدو أنها تتعاون بشكل مكثف مع الدروز، عل الرغم من عملها عن كثب مع المقاتلين السنة بالقرب من المناطق الدرزية، وبالأخص في الجبهة الجنوبية.

وعلى الرغم من اعتماد الدروز تاريخياً على النظام لضمان الأمن، فلم يدافعوا عنه في المرحلة الأولى للثورة السورية. لقد تغير موقف الدروز مع تزايد عسكرة الثورة وسيطرة الإسلاميين عليها، حينها بدأ الدروز في الالتحاق بالجيش السوري والميليشيات المحلية. إلا أن قتالهم ضد المسلحين كان مقتصراً إلى حد بعيد على الأراضي الدرزية، وظلوا معتمدين على النظام في الحصول على الغذاء، والأموال، والأسلحة مع إعفائهم من القتال خارج الأراضي الدرزية. إلا أن هذا الموقف الدرزي يتعرض لحالة من الضغط حالياً. فمع ازدياد تراجع أفراده، كثف النظام جهوده للتجنيد من آلاف الدروز المؤهلين للخدمة العسكرية للقتال خارج أراضيهم، مما يثير عداء بعض أفراد الطائفة. كما تراجعت ثقة الدروز في قدرة النظام على حمايتهم بفشل الأخير في الدفاع عن مناطق خارج مراكز تجمعهم في قلب سوريا، بما في ذلك إدلب، وكوباني، وتدمر. وفي الوقت نفسه، حقق المقاتلون مؤخراً مكاسباً كبرى ضد النظام بالقرب من الأراضي الدرزية. ويرى بعض الدروز أنه كان للتمرد قدرة على البقاء، فقد يستفيدون من التحالف معه، أو على الأقل، إخراج قوات النظام من أراضيهم والتركيز على حماية أنفسهم من الجهاديين. فعلى الأرجح سيصطفون مع المقاتلين المدعومين من الولايات المتحدة ضد الأسد والتهديد الجهادي إذا ما حصلوا على دعم الولايات المتحدة وحمايتها.

فرضية الاصطفاف بين الفصائل والدروز

إن التفاهم والاصطفاف بين الدروز والفصائل – بالأخص الفصائل غير الجهادية التي تشكل ائتلاف الجبهة الجنوبية – من شأنه خدمة المصالح الأمريكية. سيعمل ذلك على توسيع قاعدة معارضي الأسد بشكل كبير، وزيادة الضغط على النظام، مع توضيح أن السوريين ليسوا في حاجة للاختيار بين الأسد والجهاديين. ولعل أبرز المتابعين ستكون الأقليات – شاملة دون أن تقتصر على العلويين – الذين يحتاجون لدليل قاطع على معارضة يمكنهم التعايش معها على المدى الطويل إذا ما قرروا الانشقاق عن النظام. إن جهود النظام المستمرة للإبقاء على دعم الدروز تؤكد أهمية الطائفة لحكومة الأسد. وأخيراً، فإن مثل هذا التقارب سيسير التعاون بين جماعات المقاتلين السنة والدروز ضد الجهاديين. الخلاصة أن الدروز من المحتمل أن يكونوا شركاء قيمين لكل من الولايات المتحدة والجماعات المقاتلة المدعومة من الولايات المتحدة، وتشير أبحاث المؤلفين إلى أن عناصر درزية هامة تسعى لجهة رعاية أو حماية خارجية.

وعلى الرغم من تزايد الدفع نحو تقارب بين الدروز والفصائل، فإن ذلك سيواجه بعقبات عملية. إن احتدام الحرب قد أضعف القيادة التقليدية لدروز سوريا، بما في ذلك سلطة الرموز الروحية

مناطق السيطرة في درعا – السويداء
اعتباراً من ١ أغسطس ٢٠١٥

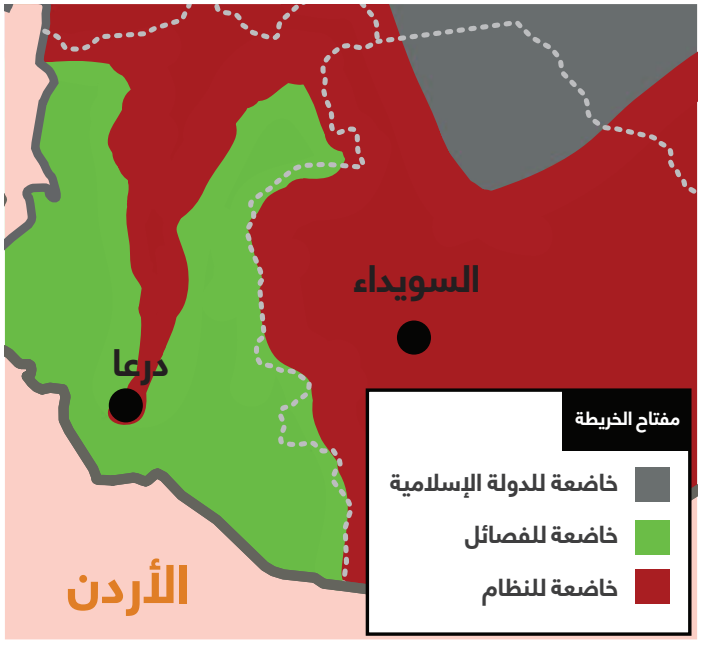

والاجتماعية (والمعروفون بمشايخ العقل) وأتباعهم. ومن ثم، فإن الدروز ليسوا موحدين خلف قائد مسيطر بعينه يمكن للولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين التشارك معه. وقد بلغ المؤلفين عن أحد المجندين في فصيلة درزية هامة مقرها السويداء، أنه على الرغم من الصورة الإقليمية البارزة لوليد جنبلاط كزعيم للدروز اللبنانيين، فإن تأثيره محدود للغاية لدى دروز سوريا، ولم يتمكن من شحذهم ضد النظام، ويرجع ذلك في جانب منه إلى عدم استعدادهم لمواجهة ذلك الأخير.

لا يعني ذلك أنه ليس بمقدور الولايات المتحدة القيام بأي فعل تجاه إقامة علاقة أقوى مع الدروز، أو تشجيع التعاون بين المتمردين والدروز ضد النظام والجهاديين. إن الفصائل المحلية تتمتع بفهم أفضل لسياسة الطائفة المعقدة، ولكن بإمكان الولايات المتحدة تقديم الضمانات الأمنية للدروز مما سيقلل المخاطر التي سيواجهونها عند انفصالهم عن النظام. ومن الأردن، الذي تربطه علاقات قوية بالعديد من الأطراف عبر حدود سوريا الجنوبية، وبالتعاون معه، يمكن للولايات المتحدة التواصل بشكل مستمر وقوي مع الدروز في جنوب سوريا. ويمكن استغلال ذلك في تشجيع، وتحفيز، وتمكين التعاون بين الدروز والمتمردين في قتال النظام والدولة الإسلامية وحكم المناطق المحررة. قد يتضمن ذلك الوساطة، ومد الضمانات الأمنية، وترتيب تبادل السجناء بين الجانبين، وتقديم الدعم المالي والإنساني بما في ذلك للمجالس المحلية في منطقة الدروز في السويداء وضواحيها. وإذا ما اقتضت الضرورة، يمكن للولايات المتحدة النظر في توفير

الأسلحة، والذخيرة، والتمويل لدفاع الدروز عن أنفسهم ضد النظام أو غيره من الأطراف المعادية (مثل الجهاديين في جبهة النصرة والدولة الإسلامية).

تعد الجبهة الجنوبية ذات الأغلبية السنية ائتلافاً من الفصائل غير الجهادية المقيمة في جنوب سوريا. وتتلقى الدعم المادي والمشورة من الولايات المتحدة في حربها ضد النظام، مما ساهم في تحقيقها لانتصارات هامة في المعارك. ويمكن للولايات المتحدة استخدام هذا الدعم كوسيلة للضغط على الفصائل للخروج من المناطق الدرزية (ما لم يطلب الدروز غير ذلك) ومنع الجماعات الجهادية من تهديد الأقليات. ويتردد أن الولايات المتحدة بالفعل تتبع استراتيجية مماثلة في جنوب سوريا. فعلى سبيل المثال، أطلع مصدر قريب من الجبهة الجنوبية المؤلفين أن الولايات المتحدة غالباً ما تقدم الدعم المادي للفصائل بما يلائم أولوياتها التكتيكية، مما يقيد تحركات المقاتلين في المعارك. كما ذكر قائد بارز في الجبهة الجنوبية للمؤلفان أن المجموعة تحترم الخطوط الحمراء للدروز وتحميهم من الجهاديين. إلا أنه في الوقت نفسه، ذكر مجند من إحدى الفصائل الدرزية الهامة في السويداء يفكر في الانفصال عن النظام وأكد للمؤلفان على الوساطة الأردنية بين الدروز والفصائل، على الرغم من أن المجند لم يحدد فيم سيساعد ذلك موقف الدروز. ومن المؤكد أن الضمان الأمني الأردني سيكون مفيداً، إلا أن الضمان الأمريكي يظل أكثر قوة. إن الولايات المتحدة أقوى، وسيشير الضمان الأمريكي للأقليات الأخرى أن الولايات المتحدة ملتزمة تجاههم وتجاه المعارضة.

التعاون العربي-الكردي في شمال سوريا

المشهد العربي-الكردي

تعد الديناميات العربية–الكردية في شمال سوريا أكثر تعقيداً من علاقة المتمردين بالدروز في الجنوب، بسبب العداء التركي–الكردي، كما أن طموح الأكراد في الاستقلال يثير ريبة العرب، في حين أن الدروز السوريين ليس لديهم مثل تلك الطموحات. إلا أن التعاون العسكري بين العرب والأكراد قد حقق بالفعل نتائج ضد الدولة الإسلامية، مع بعض الدعم العسكري من الولايات المتحدة، وهناك محاولات جارية لترسيخ التعاون السياسي بشكل رسمي أيضاً. وبالعمل سوياً، نجحت وحدات حماية الشعب – الميليشيا التي يسيطر عليها الأكراد – ومجموعات المقاتلين العرب – بالأخص فرقة الثوريين في الرقا، ضمن آخرين – في طرد الدولة الإسلامية من أماكن أساسية كانت تسيطر عليها في شمال سوريا. وقد أدى ذلك إلى عرقلة خطوط الإمداد للدولة الإسلامية، وجعل المقاتلين الأكراد والعرب على مسافة ثلاثين ميلاً من الرقة، التي اتخذتها الدولة الإسلامية عاصمة لها. كما صرحت مصادر كردية وعربية في شمال سوريا للمؤلفان أن الأراضي المحررة من الدولة الإسلامية ستخضع لسيطرة مشتركة أو مقسمة بين العرب والأكراد، بما يشمل المسئوليات الشرطية والعسكرية.

كما أن تجارب التعاون العربي–الكردي تجري أيضاً في الشئون السياسية والمدنية، حيث شكل الأكراد والعرب مجالس مدنية محلية مشتركة، ويذكر أن نشطاء أزاحتهم الدولة الإسلامية يعودون للمشاركة. وفي بعض المناطق، يبدو أن الميليشات الكردية سمحت لبعض منظمات المجتمع المدني بتقديم المساعدة للسكان المحليين. وصرح أحد كبار المسئولين في حزب الاتحاد الديمقراطي – الجناح السياسي للميليشيات الكردية – للمؤلفين أنه في ظل وجود مجلس عربي–كردي مشترك، استمر توفير الخبز، والمياه، والغاز في مدينة تل أبيض الحدودية الهامة وما حولها.

> إن وساطة الولايات المتحدة ودعمها سيعزز التعاون بين الدروز والمتمردين في مواجهة الدولة الإسلامية والنظام وسيدعم الحكم المحلي.

على الرغم من هذه الإنجازات، فإن التجربة العربية–الكردية هشة ولها مخاطرها، فالعرب يخشون خطط الأكراد للسيطرة أو ممارسة التطهير العرقي في شمال سوريا. وقد التحق بعض المقاتلين بجماعات المقاتلين العرب للتعاون مع ميليشات الأكرد لضمان الحماية ضد القوات الكردية. كما أن العرب يكرهون موقف الأكراد من النظام، والذي يعتبرونه متردداً إن لم يكن داعماً للنظام. كما يكرهون أن الولايات المتحدة تنسق الهجمات الجوية ضد الدولة الإسلامية مع الميليشيات الكردية وليس القوات العربية المحلية التي تقاتل العدو ذاته. ومن ناحية أخرى، يشكك الأكراد في أن العرب سيقبلونهم كقوة سياسية مشروعة، بالوضع في الاعتبار تاريخ قمع الدول العربية للأكراد.

وتتوارد تقارير إعلامية بأعمال عنف من الميليشيات الكردية ضد السكان العرب في المناطق المحررة. وبالوضع في الاعتبار تطلعات الأكراد المفتوحة لمزيد من الاستقلال في شمال سوريا، فإن بعض المراقبين السوريين وفي الخارج يرون حملة كردية للتطهير العرقي ضد العرب. وحتى الآن لم يحصل المؤلفان على أدلة على ذلك. لقد

كان هناك عنف من الأكراد ضد العرب وممتلكاتهم، ولكن المصادر المحلية العربية والكردية للمؤلفين تؤكد أن تلك الانتهاكات استهدفت أفراداً يزعم انتمائهم للدولة الإسلامية، أو داعمين لها، و/أو أنها جزء من الانتهاكات الحتمية للحرب. ويبدو أن الميليشيات الكردية قد شردت سكاناً محليين، إلا أن المصادر العربية والكردية تؤكد أن ذلك تم في سياق قتال الدولة الإسلامية في تلك المناطق، وبعدها تم السماح للمدنيين بالعودة.

علاوة على ذلك، ربما تكون هناك عقبة جيوسياسية خطيرة أمام التعاون العربي–الكردي في شمال سوريا. إن تركيا تعارض إقامة كيان سياسي مستقل يسيطر عليه الأكراد على حدودها، وقد تعمل على تخريب أي تجربة عربية–كردية من شأنها تيسير ذلك. وقد تقوم بذلك إما عن طريق التحرك العسكري المباشر أو من خلال نشر جماعات سورية مسلحة موالية لتركيا، بالأخص في محافظة حلب، ضد الميليشيات الكردية وحلفائها المحليين. ومن هنا، فإن المخاوف التركية ترجع مباشرةً إلى احتمالات السيطرة الكردية، وقد يطمئنها إلى حد ما التنسيق العربي–الكردي الذي لا يضمن للأكراد السيطرة الكاملة. إن هيمنة الأكراد في الشمال، أو نجاحهم في إقامة دولة كردية رسمية أو فعلية، من المؤكد أن يدفع إلى حدوث عدوان تركي.

وأخيراً، ففي حين أن القوات الكردية قد حاربت بفعالية في المناطق ذات الكثافة الكردية، فإنها تبدو أقل قدرة أو استعداداً لقتال الدولة الإسلامية بصورة أعمق داخل الأراضي ذات الأغلبية العربية. إن وجود عنصر عسكري عربي يعد ضرورياً لحماية وتوسيع المكاسب العربية–الكردية المشتركة ضد الدولة الإسلامية، وتأمين التجربة في التعاون في الحرب والحكم.

التعاون العربي-الكردي: لماذا وكيف

تمثل الريبة المتبادلة بين العرب والأكراد عائقاً أمام التعاون ضد الدولة الإسلامية والنظام، ومن ثم النهوض بالمصالح الأمريكية في سوريا. وفي الوقت نفسه، تخلق مخاوف الأطراف مساحة للولايات المتحدة للعمل كوسيط أو ضامن، لتعزيز الشراكة العربية–الكردية، وكذلك موقف الولايات المتحدة في شمال سوريا.

إن نجاح التعاون العربي–الكردي سيخدم المصالح الأمريكية بالعديد من الطرق. بشكل مباشر، ستتوسع المكاسب الأرضية للعرب والأكراد على الخط الأمامي ضد الدولة الإسلامية. كما سيحصل المزيد من أفراد الأقليات السورية على نصيب من سوريا ما بعد الأسد، وسيتم تعزيز مؤسسات الحكم العاملة في شمال سوريا. وسيبدد ذلك أيضاً المخاوف الأمريكية من انهيار الدولة، واضطهاد الأقليات في سوريا في حال هزيمة النظام. كما سيكون للتعاون العربي الكردي آثاراً أوسع ضمن مكافحة الجهاديين في سوريا؛ حيث سيمكن المجموعات القبلية والثورية بدلاً من العناصر الراديكالية في الشعب العربي – وهي نفس القوات التي تقاتل الدولة الإسلامية إلى جانب الميليشيات الكردية. وإلى جانب القوات الكردية، يمكن لتلك الفصائل العربية المساعدة في السيطرة على تقدم جبهة النصرة من الغرب. وأخيراً، فإن وجود شراكة متوازنة بين العرب والأكراد لا تكون فيها السيطرة لحزب الاتحاد الديمقراطي والميليشيات الكردية، من شأنها المساعدة في درء التدخل العسكري التركي في سوريا، والذي من المرجح أن ينهك المجموعات الكردية وحلفائها العرب الذين يقاتلون النظام.

مناطق السيطرة في شمال سوريا
اعتباراً من ١ أغسطس ٢٠١٥

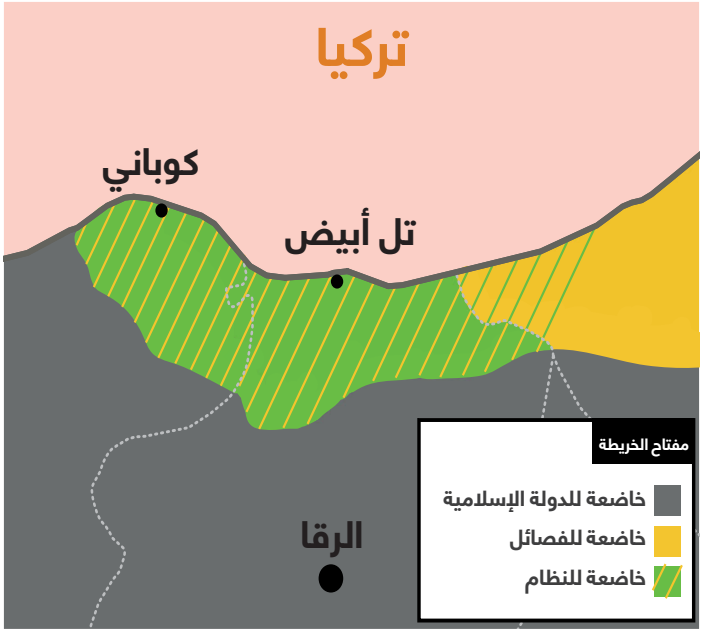

إن الولايات المتحدة ليست في حاجة لمراجعة استراتيجيتها تجاه سوريا بصورة جذرية لتعزيز التعاون العربي–الكردي في شمال سوريا. فهي متعهدة بالفعل بهزيمة الدولة الإسلامية، واستبدال بديل فعال بها، وتعزيز القوات الوطنية في سوريا، وممارسة الضغط الكافي على النظام لإخضاعه لتسوية سياسية، وبناء وحفظ المؤسسات التي ستعمل فيما بعد هزيمة الأسد أو استسلامه. إن الشراكة العملية بين العرب والأكراد ستعزز كل من هذه الأهداف، ولكن لضمانها، فعلى الولايات المتحدة تعديل بعض من سياساتها المحددة.

أولاً، يمكن للولايات المتحدة المساعدة في موازنة القوة بين العرب والأكراد من خلال تعزيز قدرات المتمردين العرب في مواجهة الدولة الإسلامية، ومن ثم جعل التحالف ضدها أكثر فعالية واستدامة، وكبح التهديد بالتدخل العسكري التركي. ويتسنى تحقيق ذلك من خلال

مقاتلي الميليشيات الكردية يتخذون مواقع لهم داخل مبنى مهدم في مدينة الحسكة، أثناء مراقبتهم لتحركات مقاتلي الدولة الإسلامية الموجودين في منطقة مجاورة، ٢٢ يوليو ٢٠١٥.
الصورة: رويترز/سترينجر.

دعم المتمردين العرب المتعاونين مع الأكراد ضد الدولة الإسلامية. ويتوجب على الولايات المتحدة أن تقدم لأولئك الشركاء نفس الشراكة التي أبرمتها مع الميليشيات الكردية، بما في ذلك الدعم الجوي للتقدم بصورة أعمق في الأراضي الخاضعة لسيطرة الدولة الإسلامية. إن الميليشيات الكردية متمكنة، ولكن الأكراد هم شريحة من السكان في سوريا، وليس بمقدورهم هزيمة الدولة الإسلامية بمفردهم. وعلى الأرجح أن يكتب لتحالفٍ متوازن بين العرب والأكراد الاستمرارية، ومن ثم التوصل إلى مؤسسات سياسية وحكومية شاملة.

إن زيادة تأثير الولايات المتحدة بين العرب والأكراد وترسيخ التعاون بينهم سيتطلب أيضاً تعزيز الحكم المحلي من خلال توفير الدعم الفني والمادي للمجالس المحلية. إن المناطق المحررة من سيطرة الدولة الإسلامية في حالة بائسة؛ فقد تدمرت كوباني إثر شهور من القتال. وفي تل أبيض، التي حقق فيها التعاون العربي–الكردي بعض النتائج، أتت الحرب وظروف الحرمان على تعداد السكان الذي تراجع من نحو خمسة وسبعين ألفاً إلى نحو عشرة آلاف شخص. وذكر النشطاء للمؤلفين أن هناك ندرة في الغذاء، والمياه، والكهرباء، وكذلك في المساعدات الدولية. إن الفاعلين المحليين والشبكات الاجتماعية اللازمة للحكم قائمة بالفعل. وقد اكتسب العديد من السوريين خبرات التنظيم والإدارة المحلية بعد اندلاع الثورة، ولكنهم أزيحوا على يد الدولة الإسلامية. وسيعودون بشكل متزايد مع عودة الأراضي المحررة من الدولة الإسلامية، ولكنهم في حاجة للموارد للحول دون انهيار الحكم. إن بناء أمثلة لحكم تعددي فعال يعد أساسياً لتضييق القاعدة الشعبية للنظام، والتشجيع على التخلي عنه، وتطمين الأقليات، وإقامة مؤسسات تبقى بعد إسقاط الأسد.

فرصة سانحة بالقرب من دمشق

اختبار جيش الإسلام

تمثل الغوطة الشرقية حزاماً زراعياً ضخماً شرقي دمشق، يبدأ على بعد نحو خمسة أميال من مركز المدينة. إذا ما زاد إضعاف موقف النظام في دمشق وما حولها، فإن من يسيطر على الغوطة الشرقية سيكون مؤهلاً للانتقال إلى العاصمة. ويجعل ذلك جيش الإسلام المجموعة الأقوى في تلك المنطقة، كونه لاعباً أساسياً في الحرب. ويعد السؤال بشأن ما يجب أن تفعله الولايات المتحدة إزاء جيش الإسلام معقداً من الناحية التكتيكية، والاستراتيجية، والأخلاقية، إلا أن الإجابة تعتمد على ما إذا كانت مصالح الولايات المتحدة

سيخدمها التفاعل مع تلك المجموعة من عدمه. وفي الوقت الراهن، وباستثناء التواصل السري من حين لآخر، فإن الولايات المتحدة لم تتفاعل بشكل أساسي مع جيش الإسلام، على الرغم من وجود دلائل على بحث المجموعة عن شركاء دوليين.

تشكل جيش الإسلام من نحو خمسين كتيبة صغيرة في سبتمبر ٢٠١٣، أقوى تلك الكتائب هو لواء الإسلام التابع لزهران علوش، بما يجعله قائد جيش الإسلام. وقبل الثورة، كان علوش ناشطاً سلفياً من سجناء النظام، ويسيطر الآن على نحو سبع عشرة ألف مقاتل (إلا أن هذا العدد غير مؤكد) ويقال إنه حصل على دعم مالي كبير من السعودية. ويسيطر جيش الإسلام على الغوطة الشرقية سياسياً وعسكرياً. وقد قام بعمليات معقدة وواسعة النطاق ضد الدولة الإسلامية، ويدير نظاماً قانونياً–قضائياً. إن حقيقة استمرار جيش الإسلام بعد سنوات من الحرب مع النظام (بما في ذلك هجمات الأسلحة الكيميائية، التي يرجح أن النظام نفذها)، والحصار الشديد، والقتال مع عدة أعداء (بما فيهم جبهة النصرة والدولة الإسلامية) يدلل على إمكانياته وقدرته على البقاء.

ويجعل ذلك من جيش الإسلام فاعلاً هاماً لا اختلاف عليه في كل من الحرب، وما سيعقبها من سلم، وهو ما يجب أن تعيره الولايات المتحدة انتباهها. إلا أنها يجب أن تتقدم بحذر عند تقييم علاقتها بجيش الإسلام، فهو ميليشيا سنية إسلامية لقائدها تاريخ في النشاط السلفي. إلا أن قيادة المجموعة لم تكن متسقة واتسمت بالغموض في تحديد أجندتها وأيديولوجيتها السياسية. ويصعب الاستنتاج، من المحادثات الخاصة أو البيانات العامة، عدد مقاتليها (أو قادتها في واقع الأمر) ممن يتبعون أيديولوجيا بعينها، وعدد المنضمين إليها لأسباب غير أيديولوجية (مثل محاربة النظام أو الكسب المادي). وبغض النظر عن ذلك، فإن موقف جيش الإسلام من منافسيه ومعاملته لهم يثير القلق. فقد اتهم أيضاً باختطاف نشطاء منتقدين للمجموعة. وفي حين أن ذلك السلوك ليس نادراً في سوريا، فعلى الولايات المتحدة توخي الحذر بشأن الكيفية التي يشن بها جيش الإسلام الحرب، ومن يستهدف، وكيف يستفيد من المزيد من النجاحات العسكرية، بالأخص في حال ضعف قبضة النظام على دمشق.

ومن ثم، فقد تواصل المؤلفان مع قادة جيش الإسلام للوصول لفهم أفضل لدوافعه، واستراتيجيته، وأيديولوجيته، واستخلاص ما إذا كانت هناك أي مساحة للتعاون، وإن كانت محدودة، بين جيش الإسلام والولايات المتحدة. وفي حديث مع المؤلفين، سعى مسئول بارز إلى تصوير حكم جيش الإسلام في الغوطة الشرقية على أنه صارم ولكنه عادل. ونفى استهداف جيش الإسلام للنشطاء الذين انتقدوه، مؤكداً أن السجناء المحتجزين في الغوطة الشرقية

مناطق السيطرة في الغوطة الشرقية
اعتباراً من ١٤ أغسطس ٢٠١٥

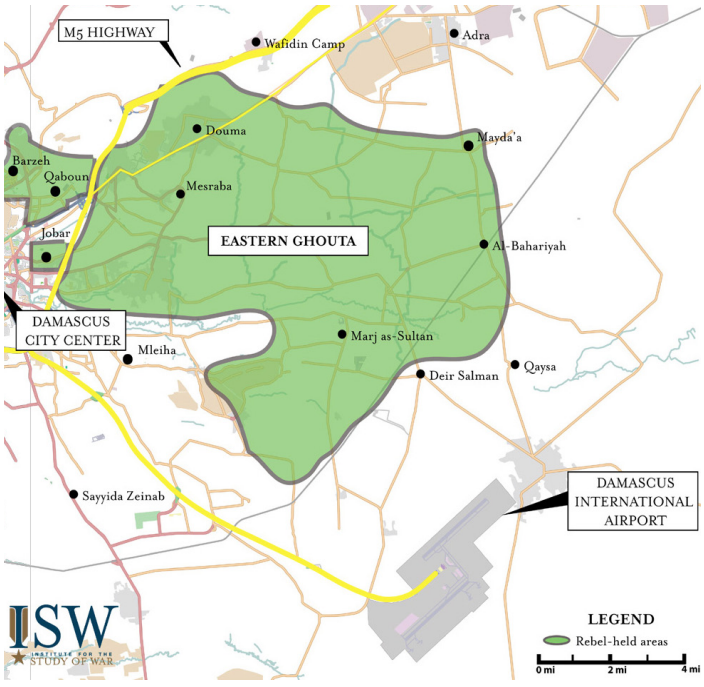

وعددهم نحو ٢٤٠٠ سجين، هم من الجهاديين أو المجرمين، ممن حوكموا لدى محكمة شرعية. وقد نفى المصدر الاتهامات بأن جيش الإسلام يعتبر الولايات المتحدة عدواً، وأكد على النقيض من ذلك أنه بإمكانها لعب دوراً أساسياً في إنهاء الحرب. وبدا المصدر قلقاً بالفعل بشأن التهديد الذي تمثله الدولة الإسلامية، وأعزى التجنيد بها إلى دوافع مالية، وغياب البدائل، والفرص السانحة في الغوطة الشرقية. وبالضغط عليه بشأن التصريحات الطائفية العدائية لجيش الإسلام، زعم أنه عارض شخصياً تلك التصريحات وأنها كانت «أخطاء إعلامية». وساق المصدر أمثلة بعينها حما فيها جيش الإسلام الدروز، والإسماعيليين، والمسيحيين في الغوطة الشرقية ضد الجهاديين عندما رفض النظام استقبالهم.

خيارات الولايات المتحدة في الغوطة الشرقية

لقد ظلت الولايات المتحدة إلى حد كبير على مسافة من جيش الإسلام. وذلك أمر مفهوم؛ فالتواصل مع جماعة مسلحة ليس لديها أيديولوجيا أو أجندة واضحة، ذات تاريخ من قمع الانشقاقات، وميل لاستخدام الخطاب الطائفي يحمل مخاطر أخلاقية. إلا أن تجاهل جيش الإسلام له مخاطره أيضاً؛ حيث يحرم الولايات المتحدة من التأثير على جيش الإسلام، والحد من قدرات ذلك الأخير في مواجهة جبهة النصرة والدولة الإسلامية، ويضيع فرصة ممارسة الضغط على النظام ورعاته الخارجيين سعياً للانتقال السياسي. كما يتجاهل

أحد مقاتلي جيش الإسلام يستعد لإطلاق صواريخ باتجاه قوات النظام بالقرب من مطار دمشق الدولي من الغوطة الشرقية، ٢٤ فبراير ٢٠١٥.

الصورة: رويترز/ سترينجر.

أيضاً أن جيش الإسلام، بكونه فاعلاً أساسياً وقت الحرب، سيكون له تأثير في أي تسوية سياسية للصراع، سواء كشريك أو مخرب محتمل.

فيما يخص جيش الإسلام، يجب أن تدرس الولايات المتحدة عملياتها في سياق الحرب الأهلية السورية، وبالأخص في الغوطة الشرقية. لقد خضعت هذه المنطقة للحصار وقصف النظام لعدة سنوات. كما أنها في منطقة تسعى الجماعات الجهادية مثل جبهة النصرة والدولة الإسلامية الدخول إليها. إن عزل جيش الإسلام يضيق خياراته السياسية والعسكرية. وليس من شأن ذلك التماس العذر لأخطاء جيش الإسلام أو زهران علوش، ولكن لإبراز أن اختلاف البيئات يفرز أنماطاً مختلفة من الفائزين والناجين. إن جيش الإسلام هو نتاج ظروف الغوطة الشرقية. ومن الصعب تخيل إنتاج تلك البيئة لأطراف أكثر اعتدالاً، بل يسهل تصور سيطرة نماذج أسوأ مثل الدولة الإسلامية وجبهة النصرة.

يجدر بالولايات المتحدة النظر فيما إذا كان التحول لتواصل أكبر، ولكنه حذر، مع جيش الإسلام سيأتي ببعض النفع يدرأ المخاطر التالية. قد تتضمن تلك المنافع تقييد جيش الإسلام وكبح مزايداته المحتملة، وتحقيق بعض التأثير عليه إذا ما أصبح لاعباً أساسياً فيما بعد الحرب، والسيطرة على التقدم المحتمل للدولة الإسلامية وجبهة النصرة تجاه منطقة الغوطة الشرقية، واستخدام تلك العلاقة كورقة ضغط على داعمي النظام داخلياً وخارجياً لإعادة تقييم دعمهم للأسد.

وكخطوة مبدئية، يمكن للولايات المتحدة، على الأقل، فتح خط تواصل مباشر مع جيش الإسلام. وتشير زيارات زهران علوش الأخيرة لتركيا والأردن إلى سعيه لتوسيع العلاقات الخارجية للمجموعة – ويمثل كلا البلدين قنوات محتملة يمكن للولايات المتحدة من خلالها التواصل مع جيش الإسلام. كما يمكن للسعودية، والتي لديها علاقة قائمة بالفعل مع المجموعة، أن تلعب دوراً هاماً في الوساطة، وتقديم الأفكار والمعلومات الاستخباراتية بشأن جيش الإسلام. وفي غياب تلك العلاقات، سيسعى جيش الإسلام على الأرجح في تنفيذ مصالحه دون عوائق، وربما برعونة وحدة أكبر. على سبيل المثال، قد يتقدم تجاه دمشق بشكل مبكر عن اللازم، ويؤدي إلى انهيار الحكومة، أو قد يرتكب مقاتليه أعمالاً وحشية ضد المدنيين أو يفشلوا في الحول دون حدوثها.

وإذا ما قررت الولايات المتحدة تحديد سبل لمزيد من التعاون، يمكنها دراسة استخدام الوسائل المالية لزيادة تأثيرها على جيش الإسلام (نظراً للحصار الذي تعانيه الغوطة الشرقية، فإن أكثر السبل

فعالية للمجموعة لتأمين مواردها هي من خلال شرائها من المناطق الخاضعة لسيطرة النظام). لا يعني ذلك أن تقدم الولايات المتحدة خطاً مفتوحاً دون قيد أو شرط من التمويل للمجموعة. يمكن أن يكون الدعم المبدئي جزئياً، ومحدوداً ومرهون بمدى احترام جيش الإسلام للقيود والشروط التي تضعها الولايات المتحدة، والتي قد تتضمن حماية الأقليات، والامتناع عن استهداف المدنيين. إذا أثبت ذلك جدواه، يمكن استغلال الدعم للمساعدة في البقاء على المؤسسات الهشة التي تخدم الاحتياجات الأساسية في المنطقة، وتعزيز مواجهة جيش الإسلام للدولة الإسلامية وجبهة النصرة.

> من شأن تواصل الولايات المتحدة مع جيش الإسلام المساعدة في السيطرة على المكاسب المحتملة للجهاديين في بالقرب من العاصمة، والضغط على داعمي النظام الأجانب، والمساعدة في إشراك جيش الإسلام في تسوية ما بعد الحرب.

وأخيراً، من شأن إقامة الولايات المتحدة لعلاقة مع مجموعة تمثل تهديداً عسكرياً بالقرب من دمشق أن يزيد الضغط على رعاة النظام للقبول بانتقال سياسي في سوريا. فمثلما تشجع وتقيد الولايات المتحدة حلفائها من الفصائل المقاتلة ضد النظام في شمال سوريا، يمكنها القيام بذلك في المنطقة الأهم بالقرب دمشق. وإذا نجحت، سيكون ذلك متماشياً مع هدف الولايات المتحدة بتغيير حسابات النظام وداعميه، لصالح التسوية السياسية التي تستثني الأسد.

ويبدو أن زهران علوش وأتباعه قد أنتجوا أمراء حرب متمكنين في الغوطة الشرقية يتمتعون بجذور محلية قوية وملتزمين بمواجهة الدولة الإسلامية وجبهة النصرة. ولن يكونوا أول أمراء حرب يلعبون دوراً هاماً في وقت الحرب، وما يليها من سلام، ومن المرجح أن الأمر سيكون كذلك إذا (أو حينما) ضعف موقف النظام في دمشق. كما لن يكونوا أول من تقيم معهم الولايات المتحدة علاقات وقت الحرب. قد تكون هناك سبل يمكن للولايات المتحدة من خلالها محاولة السيطرة على أسوأ صور المغالاة لجيش الإسلام، ومساحة لاستكشاف خلق التأثير على المجموعة وممارسته. وتتمثل النقطة الأساسية في أن مصالح الولايات المتحدة قد تُخدم بصورة أفضل بمحاولة إدارة جيش الإسلام بدلاً من تجاهله، وهي المجموعة التي يبدو أنها ستظل قائمة على أي حال.

الخلاصة

تتمثل الأهداف الرئيسية للولايات المتحدة في سوريا في الوصول لتسوية سياسية دائمة للصراع والهزيمة الكاملة للجهاديين الذين يتغذون عليه. ويتطلب ذلك ممارسة الضغط على النظام وداعميه من خلال توسيع قاعدة الدعم ضد النظام وكذلك الجهاديين. هذه الأهداف شديدة التداخل: فلكي يتخلى عدد كاف من السوريين عن الأسد، يجب أن يروا نماذج فعالة من الحكم، والأمن، والاستقرار السياسي، وتوفير الخدمات العامة في مناطق المعارضة. وربما الأهم هو ضرورة أن تتأكد الأقليات والمجموعات السنة التي لم تنأى بنفسها عن الأسد بعد من أنها ستكون آمنة، وستشارك بفعالية في سوريا ما بعد الأسد. ولا يمكن تحقيق أي من هذه الأهداف دون إبرام الولايات المتحدة لأكبر قدر ممكن من الشراكات والائتلافات المحلية.

بعد مرور أكثر من أربعة أعوام على الصراع، يزداد وضوح أن الاستراتيجيات مركزية التخطيط، من القمة إلى القاعدة، لن تستطيع وحدها تحقيق الأهداف الأمريكية في سوريا. يرجع ذلك إلى أن الصراع، الذي يصور على أنه حرباً أهلية خالصة، هو أيضاً ثورة، تنتج على الدوام فاعلين ومراكز قوى جديدة، وتقوض الهياكل السياسية والاجتماعية القديمة. إن تعقيد الصراع يعكس تعقيد المجتمع السوري وسط التحولات الجارية. إن الحكومات الائتلافية وبرامج تدريب الفصائل القائمة والموجهة خارج سوريا تواجه عيوباً خطيرة بالمقارنة مع الفاعلين المحليين الناشئين من داخل الصراع. ويجب أن تبنى نماذج التعاون حول هؤلاء الفاعلين المحليين.

وكما توضح حالة جيش الإسلام في الغوطة الشرقية، فليست جميع الأطراف المحلية الأساسية في سوريا مقبولة لدى الولايات المتحدة. فبعد أربع سنوات من العنف والدمار على نطاق واسع، لن يكون هناك سوى القليل من المجموعات على ذلك النحو، إن وجد. لا يخلو أي من الدروز، أو الميليشيات الكردية، أو الجبهة الجنوبية، أو كتائب الرقا الثورية من أخطاء جسيمة، إلا أن جميعها مجموعات عامة، وعلى الرغم من عيوبها، لديها شيئاً مفيداً يمكن أن تقدمه للولايات المتحدة، وبعضها قد يكون أكثر ضرراً إذا ما تم تجاهله. إن تحديد الشراكات المحلية وتطويعها وإبرام اتفاقات تعاون هي أفضل سبل تأمين مصالح الولايات المتحدة في سوريا، والوصول إلى تسوية سياسية شاملة ودائمة.

مجلس إدارة المجلس الأطلنطي

رئيس المجلس

• جون م. هنتسمان الإبن

رئيس المجلس الاستشاري الدولي

برنت سكاوكروفت

الرئيس والمدير التنفيذي

• فريدريك كيمب

نواب الرئيس

• روبرت ج. آبيرنيثي
• ريتشارد إيديلمان
• س. بويدن جريي
• ريتشارد ل. لاوسون
• فرجينيا أ. مولبرجر
• و. دي فير بيرسون
• جون ستودزينسكي

أمين الصندوق

• براين س. مك. هنديرسون

أمين السر

• والتر ب. سلوكومب

المديرون

ستيفاني أبريال
أودي آبردين
بيتر آكيرمان
تيموثي د. آدامز
جون آلن
مايكل أنصاري
ريتشارد ل. أرميتاج
• أدريين أرشت
ديفيد د. آوفهاوزر
إليزابيث ف. باجلي
بيتر باس
شيلا بلير
• رفيق بزري
• توماس ل. بلير
فرنسيس بوشارد
مايرون بريليانت
• ر. نيكولاس بيرنز
• ريتشارد ر. بيرت
مايكل كالفي
آشتون ب. كارتر
جيمس إ. كارترايت
جون إ. شابوتون
أحمد شاراي
ساندرا تشارلز
جورج شوبيفسكي
ويسلي ك. كلارك
ديفيد و. كريج
• رالف د. كروسبي، الإبن
نيلسون كاننينجهام
آيفو هـ. دالدر
جريجوري ر. داهلبرج
• بولا ج. دوبريانسكي
كريستوفر ج. دود
كونرادو دورنييه
باتريك ج. ديركين
توماس ج. إيديلمان
توماس ج. إيجان الإبن
• ستيوارت ي. آيزنشتات
توماس ر. ايلدريدج
جولي فينلي
لورنس ب. فيشر، II
آلان ه. فلايشمان
ميشال فلورنوي
• رونالد م. فريمان
لوري فالتون
• روبرت س. جيلبارد
• شيري و. جودمان
• ستيفن ج. هادلي
ميكايل هاكستروم
إيان هيج
جون د. هاريس II
فرانك هاون
مايكل ف. هايدن
أنيت هويزر
يوناس هييلم
كارل هوبكنز
روبرت هورماتس
• ماري ل. هاويل
روبرت ي. هنتر
وولفجانج ايشينجر
روبين جيفري، الثالث
روبرت جيفري
• جيمز ل. جونز، الإبن
جورج أ. جولوان
لورنس س. كاناريك
ستيفن ر. كابس
ماريا بيكا كارب
فرنسيس ج. كيلي، الإبن
زالماي م. خليلزاد
روبرت م. كيميت
هنري أ كيسنجر
بيتر كوفارجيك
فرانكلين د. كريمر
فيليب لادر
• يان م. لودال
• جورج لاند
جين هول لوت
وليم ج. لين
• جون د. ماكومبر
عزت مجيد
ويندي و. ماكينز
ميان م. مانشا
وليم ي. ماير
ألان ماكآرتر
ايريك د. ك. ميلبي
فرانكلين س. ميللر
جيمس ن. ميللر
• جوديث أ. ميللر
• ألكساندر ف. ميرتشيف
أوبي ل. مور
• جورج ي. موس
جورجيت موسباتشر
توماس ر. نايدس
فرانكو ناشيز
جوزيف س. ناي
شون أوكيف
هيلدا اوكوا–بريليمبورج
أحمد أورين
• آنا بالاتشيو
كارلوس باسكوال
توماس ر. بيكرينج
دانييل م. برايس
• آندرو بروزيس
آرنولد ل. بونارو
• كيرك أ. رادكي
تيريزا م. ريسيل
تشارلز و. روسوتي
ستانلي ر. روث
روبرت رولاند
هاري ساكينيس
وليم و. شمايدر
جون ب. شميتز
برنت سكوكروفت
آلان ج. سبنس
جيمس ستافريديس
ريتشارد ج. أ. ستيل
• بولا ستيرن
روبرت ج. ستيفنز
جون س. تانر
بيتر ج. طنوس
• ايلين و. تاوشر
كارين ترامونتانو
كلايد س. تاجل
بول تووومي
ميلاني فيرفير
إنزو فيسكوزي
تشارلز ف. والد
جاي واكر
مايكل ف. والش
مارك ر. وارنر
ديفيد أ. ويلسون
ماسييج ويتوكي
ماري س. ييتس
دوف س. زخم

المديرون الفخريون

ديفيد س. آكيسون
مادلين ك. أولبرايت
جيمس أ. بيكر الثالث
هارولد براون
فرانك س. كارلوتشي، الثالث
روبيرت م. جيتس
مايكل ج. مولن
ليون إ. بانيتا
وليم ج. بيري
كولين ل. باول
كوندوليزا رايس
إدوارد ل. راوني
جورج ب. شولتز
جون و. وارنر
وليم ه. ويبستر

المجلس الاستشاري لمركز الحريري

* بهاء الحريري
حنان عشراوي
* شوكت عزيز
فريدريك كيمب
* أليكزاندر كواسنييفسكي
خافيير سولانا
جيمس د. وولفنسون

• أعضاء اللجنة التنفيذية
* أعضاء المجلس الإستشاري الدولي

القائمة اعتباراً من ٢٨ فبراير ٢٠١٥

المجلس الأطلنطي هو منظمة غير حزبية تعمل لتعزيز القيادة الأمريكية والمشاركة البناءة في الشئون الدولية بالاعتماد على الدور المحوري للمجتمع الأطلنطي في مواجهة التحديات العالمية الحالية.

© ٢٠١٥ المجلس الأطلنطي في الولايات المتحدة. حقوق الطبع محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أو نقل أي جزء من هذ الإصدار بأي شكل أو وسيلة دون تصريح كتابي من المجلس الأطلنطي، فيما عدا حالات الاقتباسات الموجزة في المقالات الإخبارية، أو المقالات النقدية، أو العروض. يرجى توجيه الاستفسارات إلى:

1030 15th Street, NW,
12th Floor;
Washington, DC 20005
(202) 778-4952

AtlanticCouncil.org